



الأرادة اليابانية: كيف تحول الحلم إلى واقع

بقلم: الباحث فهد احمد



تأسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية عام 2008 بمدينة بابل (الحلة)، وحصل على شهادة التسجيل من دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة 1Z71874 بتاريخ 2012/12/25، بوصفه مركزاً علمياً بحثياً يهتم بدراسة الموضوعات السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الاهتمام بالقضايا والظواهر الراهنة والمحتملة في الشأن المحلي والإقليمي والدولي، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

- لا يجوز إعادة نشر أي من هذه الأوراق البحثية إلا بموافقة المركز، وبالإمكان الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً.
- لا تعبر الآراء الواردة في الورقة البحثية عن الاتجاهات التي يتبناها المركز وإنما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

للتواصل

مركز حمورابي

للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد - الكرادة

+964 7810234002

hcrsiraq@yahoo.com

www.hcrsiraq.net

منذ أربع سنوات، وبينما كنت أشاهد إحدى حلقات برنامج "خاطر" الذي يقدمه أحمد الشقيري ، توقفت ذاكرتي عند جملة لم تكن عابرة ، بل كانت بداية تحول داخلي عميق ، حيث قال الشقيري يومها : " إذا كنت في اليابان، ستجد إبداع الإنسان ". تلك الكلمات رغم بساطتها ، لم تغادرني ، علقت في ذهني كصدى بعيد ، يعود إلي كلما تأملت معنى التقدم ، والعمل ، والنهضة .

ومنذ تلك اللحظة ، وجدت نفسي مدفوعاً للقراءة والبحث ، للغوص في أعماق الثقافة اليابانية، ولم أكن أبحث عن معلومات سطحية ، بل كنت أريد أن أفهم : ما الذي يجعل هذا الشعب مختلفاً؟ وكيف تحولت الإرادة إلى ثقافة، والأبداع إلى نمط حياة؟. وفي هذا المقال سنتناول كيف خرجت اليابان من تحت رماد الحرب لتصبح خلال عقدين ثالث أكبر اقتصاد في العالم ، ودخول اليابان كنموذج متكامل للثقة الناعمة ، وكيف تحولت من بلداً منهكاً إلى دولة تتقدم في التعليم بثبات، والوصول إلى التفوق في ميادين التكنولوجيا والروبوتات والذكاء الاصطناعي .

من الأمبراطورية المتصاعدة قبل الحرب العالمية إلى نهضة ما بعد الدمار.

لقد كانت اليابان قبل الحرب العالمية الثانية نموذجاً في " إرادة الإمبراطورية الصاعدة "، إذ بنى القادة اليابانيون رؤيتهم على مبدأ التوسع العسكري والاقتصادي في أن واحد ، حيث كانت تملك اليابان ثاني أكبر اسطول بحري في العالم ، ومنذ "عهد مييجي" منتصف القرن التاسع عشر حتى ثلاثينيات القرن العشرين ، كان التحول السريع من مجتمع إقطاعي منعزل إلى قوة صناعية وزراعية يسمح لها بتأمين موارد جديدة ، ولأنها كانت تمتلك فقط 5% من مصادر الثروة الطبيعية ، فسعت إلى وضع خطط استراتيجية واضحة ومدروسة ، أشتملت على تحديث التعليم، وتوحيد الهيكل الإداري ، وضخ رأس المال في الصناعات الثقيلة والنقل. ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، بلغ ذلك التراكم الطموح ذروته : حيث تحولت الإرادة الإمبراطورية إلى الدافع لأحتلال منغوليا وشرق اسيا وجزر المحيط الهادي ، وأصبحت اليابان أكبر دولة استعمارية في الشرق الاقصى ، ولكن هذه الإرادة حين خرجت عن توازنها ، أصطدمت بالعامل البشري وجحيم الصراع ، فأنهيار الحلم التوسعي في غضون سنوات قليلة ، وخسرت اليابان أكثر من نصف أسطولها الحربي ، وتعرضت مدنها لقصف مدمر في مدينتي ، هيروشيما و ناجازاكي . و ثم بدأت مرحلة " الإرادة اليقينية " الحقيقية ، حيث أعيد صياغة هوية الأمة اليابانية على أسس جديدة ومن ضمنها : دستور يضع السلام حجر الزاوية ، وإصلاح زراعي يضمن الأمن الغذائي ، وخطط تعليمية ترسخ مبادئ الحرية والديمقراطية ، وهذه الرؤية لم تأت فرادى ، بل رافقها أنضباط جماعي ، إذ عملت الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني بتناغم ، فوضعوا أهدافاً قصيرة المدى (إعادة تشييد البنى التحتية) ومتوسطة المدى (تنمية صناعات تصديرية) وطويلة المدى (تحقيق المعجزة الاقتصادية) بين خمسينيات وسبعينيات القرن الماضي. وإن أهم ما يميز اليابان في مرحلة ما بعد الحرب هو انصهار " الإرادة اليقينية " مع

الممارسة اليومية : من ألتزام عامل المصنع بأدق معايير الجودة ، إلى حرص الأدباء والمثقفين على أستعادة روح الثقافة الوطنية من خلال إعادة قراءة التراث وتطوير الأدب والفنون ، وهكذا تحول الدمار إلى محرك لأبداع صناعي وثقافي دفع اليابان لتصبح ثالث أقوى اقتصاد في العالم بحلول نهاية السبعينيات ، وبهذه الحالة نرى كيف يمكن للأرادة ، حيث تستند إلى رؤية واضحة ، و خطة مدروسة وممارسات يومية متسقة ، أن ترفع أمة من ركاب الحرب إلى صدارة الابتكار والتقدم .

من تحديث المناهج إلى قيادة الابتكار : كيف رسخ التعليم الياباني أسس قوتها العالمية.

يبقى نظام التعليم في اليابان إحدى الركائز الرئيسية التي قامت عليها نهضتها الاقتصادية والتقنية منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى اليوم ، وقد انتقلت اليابان إلى تحديث الهيكل التنظيمي للتعليم ، وبناء ثقافة ابتكار قوية داخل الفصول البحثية والمؤسسات الأكاديمية ، وأدركت اليابان أن الاعتماد على الحفظ والتلقين لم يعد كافياً في ظل سباق التصدر التكنولوجي ، حيث أطلقت الحكومة برامج لأدماج تكنولوجيا المعلومات في المدارس ، وتحديث المناهج لتشمل "التفكير الحسائي" و"المهارات الرقمية"، وبالإضافة إلى زيادة ساعات تدريس اللغة الإنجليزية لتهيئة الطلاب لمواجهة اقتصاد عالمي متشابك، واستحدثت اليابان مصطلح " فلسفة التربية الأبداعية "، وتعني هي الأفكار التربوية المعاصرة في مجال التعليم ، إذ تؤكد على التفكير الأبداعي ، وترسيخ التربية الأخلاقية لدى المتعلمين وكذلك الاهتمام بالمناهج وتوظيف نتائج الأبحاث العلمية فيها ، والتأكيد على إعداد المعلم وتأهيله بالأساليب التربوية المعاصرة ، لزيادة فاعلية التعليم ، وتغيير اساليب التعليم التقليدية من المركزية إلى اللامركزية في التعليم ، وحيث أدرجت في اليابان برامج تعليمية تعتمد على الذكاء الأصطناعي في المدارس ، تبدأ من المرحلة الأبتدائية ، حيث يتعلم الطلاب البرمجة واستخدام الأدوات الحاسوبية في حل المشكلات بطريقة تفاعلية ، وفقاً لتقرير صادر عن وزارة التعليم اليابانية عام 2022 ، ساهمت هذه البرامج في رفع مستوى الطلاب في المهارات الرقمية بنسبة 30% خلال السنوات الخمس الماضية ، مما جعلهم مستعدين بشكل أفضل للأنخراط في سوق العمل الرقمي المستقبلي. وأن أحد أهم مفاتيح دراسة تقدم اليابان في التعليم : كثافة القراءة ، وشغف المجتمع بمطاردة المعلومة ، وولعه المزمّن بأكتشاف المجهولات ، والصحافة في اليابان توزع يومياً ما يقارب تسعين مليون نسخة ومن الطريف أن اليابانيين وضعوا في إحدى الساحات المعروفة ، تمثالاً لرجل يمسك بكتاب، وهو يقول إن وزنك بعدد ماقرأت من كتب ، لا بعدد الكيلوغرامات التي تمتلكها. وأن التعليم في اليابان لا يهدف فقط إلى نقل المعرفة ، بل إلى بناء شخصية الطالب وتعزيز روح العمل الجماعي والأجتهد ، وهي قيم عكست نفسها في تطور المجتمع الصناعي والتكنولوجيا. والأستثمار في البحث العلمي والجامعات التقنية أسهم في ظهور اليابان كدولة رائدة في مجالات الهندسة والروبوتات والتكنولوجيا الحديثة، كما ساعد نظام التعليم المستقر والمنظم على إعداد أجيال قادرة على التكيف مع التغيرات العالمية السريعة مما جعل التعليم أحد الأعمدة الأساسية لنهضة اليابان واستمرار تفوقها في العالم.

الاقتصاد الياباني : من إعادة البناء إلى قمة الأسواق العالمية.

بعد أستسلام اليابان في 15 أغسطس 1945 ، وجدت الأمة نفسها في حالة صدمة شاملة من ، بنى تحتية مهدمة ، صناعات متوقفة ، وزراعة متعثرة لا تكاد تلي احتياجات السكان واندلعت أزمة إنسانية حين عاد ملايين اليابانيين من جبهات القتال أو المناطق المحتلة ، حاملين معهم وطأة البطالة وسوء السكن فيما كانت الحكومة المؤقتة بلا موارد تكفي فتات الاحتياجات الأساسية ، وحيث رافق ذلك فراغ سياسي وإداري نتج عن انهيار المؤسسات السابقة ، ولكن هذا لم يمنع اليابان أن تحول هذه اللحظة المفصلية إلى نقطة انطلاق ، إذ شرعت الحكومة اليابانية في تطبيق إصلاحات جذرية ، شملت توزيع الأراضي على الفلاحين لتعزيز الإنتاج الزراعي ، وإعادة صياغة علاقات العمل عبر تشريع النقابات العمالية ، وضبط النظام المالي لوقف التضخم ، مما أتاح للحكومة إعادة توجيه الموارد من أجل تأهيل البنية التحتية الحيوية : السكك الحديدية ، الموانئ ، والمحطات الكهربائية ، حيث فتحت هذه الأسس الطريق أمام ما يعرف لاحقاً بـ " المعجزة الاقتصادية " واعتمدت المؤسسات اليابانية في وقتها نظام "كايزن" لتحسين الجودة والإنتاجية بشكل مستمر ، فحققت منتجاتها تنافسية عالية من الأسواق العالمية، ورغم امتلاكها أقل من 5% من موارد العالم الطبيعية ، وأستثمرت اليابان أعظم أصولها وهو "رأس المال البشري" ، فقد تحول العقل الياباني من صناعة الألة الحربية إلى ابتكار الألة السلمية ، مع منح الأولوية للشركات المتوسطة والصغيرة نماذج مثل تويوتا وسوني وباناسونيك ، التي باتت اليوم هذه الشركات رمزاً للجودة العالمية ، ونتيجة لذلك فقد تجاوز عدد الشركات التجارية في اليابان إلى أكثر من 25 مليون شركة ، واعتمد النمو الاقتصادي الياباني على رؤية استراتيجية واضحة للدولة وتعاون وثيق مع القطاع الخاص ، وثقافة مؤسسية تصقل الجودة والأبداع، من إعادة الأعمار إلى صدارة الأقتصاد العالمي.

القوة الناعمة في اليابان : كيف تصنع الثقافة علامة تجارية عالمية .

في غضون عقود قليلة ، نجحت اليابان في إعادة تشكيل صورتها أمام العالم من دولة استعمارية سعت للتوسع بالقوة العسكرية إلى نموذج رائد في السلام والإبداع الثقافي ، حيث جاءت نقطة التحول الحقيقية مع الدستور الباكر المعروف بالدستور السلمي (1947) الذي نبذ الحرب كسلاح لحل النزاعات وأرسى مبدأ السلام كركيزة أساسية للهوية الوطنية ، وهذا التحول الدستوري أتاح لليابان أن تعيد أستثمار قدرتها عبر ثقافة متجددة ومتحررة من وصمة القوة الصلبة وأعباء الماضي، ولم تقتصر جهود اليابان على إرساء السلام في دستورها فحسب بل امتدت إلى تصدير قيمها وموروثها الثقافي عبر أدوات ناعمة انعكست بوضوح في حركات شعبية وعلامات تجارية عالمية ، فقد احتضنت صناعة المانغا والأنمي كفن معاصر يعكس عمق المشاعر اليابانية وشغفها بالسرد البصري ، وأمثلة مسلسلات مثل "دراغون بول" و "ون بيس" و "ناوروتو" و "ستوديو غيبلي" ، حيث ترجمت إلى عشرات اللغات ، وخصوصاً الأنمي الذي يعرض بأكثر من 70 دولة ليصبح واحداً من الصادرات

الثقافية لليابان ويحقق دخلاً سنوياً يقدر بأكثر من 5 مليارات دولار من الافلام و 18 مليار دولار إضافية على البضائع المرتبطة بها ، وهذا الاهتمام الواسع منح اليابان فرصة التفاعل الدائم مع جمهور يتجاوز مئات الملايين عبر المهرجانات المحلية والعالمية ، ولم تقتصر القوة الناعمة على الفنون الترفيهية ، بل شملت التصميم والمطبخ الياباني من فن تنسيق الحدايق وطقوس الشاي إلى مطاعم السوشي التي انتشرت حول العالم وانتقلت معها فلسفة الاهتمام بالتفاصيل وجودة المكونات وكذلك حرصت الشركات اليابانية على عرض التكنولوجيا الناعمة في معارض عالمية - كالروبوتات والخدمات الرقمية وقطاع السيارات الذي يعد مجرد صناعة بل أصبح سفيراً لقيم اليابان ومعيّاراً للجودة والابتكار أمثال تويوتا و هوندا ونيسان ولكزس ، نماذج متنوعة تلي أذواقاً مختلفة من السيارات الاقتصادية ، وساهم هذا التوجه في تغيير صورة اليابان دولياً من دولة مهزومة وغريبة إلى بلد مبدع ومتسامح ثقافياً ، فاليابان تحتل المرتبة 6 عالمياً في مؤشرات القوة الناعمة العالمية ولها تأثير كبير في صناعة الذوق العالمي .

الذكاء الاصطناعي في اليابان : ألتقاء التراث والابتكار الرقمي .

في هذا القسم ، نستلهم من اليابان رؤية فريدة لدمج عمق التراث الثقافي مع قمة الابتكار الرقمي فتظهر أمامنا صورة لأمة لا تنظر إلى المستقبل بوصفه انفصلاً عن الماضي ، بل كرؤية تتشابك فيها جذور التقاليد مع خيوط الذكاء الاصطناعي لنسج واقع أكثر إبداعاً وإلهاماً. حيث قامت بإنشاء شبكة الإنذار المبكر التي تصنع الفارق بين الكارثة والنجاة بفضل مجموعة من الحساسات البحرية المدفونة قرب صدوع المحيط الهادي ، ترسل الاف القراءات الزلزالية في الوقت الحقيقي إلى مراكز المعالجة ، حيث يخضع كل نبضة أرضية لتحليل فوري عبر نماذج ذكاء اصطناعي متقدمة، وهذه النماذج لا تكتفي بالكشف عن الهزة ، بل تتنبأ بمدى انتشار الموجات واليات تضخمها، وعلى صعيد آخر، رافقت اليابان تقاليد العلم منذ العهد الإمبراطوري ، واليوم ينسجم ذلك مع برنامج "Felo AI" الذي ابتكره فريق بحثي في معهد ريكين للعلوم ، ويعكف هذا النظام على استيعاب الاف النصوص الأكاديمية والمقالات المتخصصة ، ثم يعيد تشكيلها على هيئة خرائط ذهنية ديناميكية ، أما في قلب ريف الأرز الذي يعتبر رمز اليابان وهويتها الغذائية ، حيث يعتمد مربو الأرز على الذكاء الاصطناعي لتحليل بيانات التربة والطقس والرطوبة في الحقول ، بفضل طائرات مسيرة مزودة بحساسات تصوير حراري ، ومع خوارزميات تتنبأ بأوقات الزراعة المثلى بناءً على نماذج مناخية موسمية، وكذلك قامت الحكومة اليابانية بإنشاء منصات بيانات ضخمة تجمع معلومات عن حركة المرور ، والاستهلاك الطاقوي ، وجودة الهواء، ثم تستخدم خوارزميات متطورة لتنظيم الإشارات المرورية ، وتحسين مسارات القطارات ، وتوزيع الطاقة بذكاء يضمن راحة السكان ويقلل البصمة الكربونية ، عبر أنظمة الذكاء الاصطناعي.

الخاتمة : في خلاصة هذه الدراسة المتأنية لمسيرة اليابان ، يتجلى أن سر نجاحها لا يمكن في معجزة ألية أو أبتكار مفاجئ ، بل في إرادة يقينية راسخة أسستها رؤية وطنية واضحة ، وخطط مدروسة تمت ممارستها بدقة يومية ، من الانضباط الأكاديمي الذي نهض به جيلاً ما بعد الحرب ، مروراً بتحول التعليم إلى محرك للأبداع ، وإلى الاقتصاد القائم على تحسين مستمر يكرس قيمة الإنسان قبل الألة ، وترى اليابان كيف أن الجذور الثقافية ليست عبئاً على المستقبل ، بل منصة انطلاق تستمد منها كل قفزة إلى الأمام . وهذه الدروس لا تقتصر على أرض " كوكب اليابان " ، بل هي دعوة لكل أمة وفرد لأن يحولو حلمهم إلى واقع من خلال العلم المنظم ، والتخطيط الاستراتيجي ، والألتزام الصادق ، فتصبح الإرادة ليست شعاراً ، بل منهج حياة يعيد صياغة الممكن.